

تدوين (ة) رحلة

عبدالله الداودي

إهداء

إلى صاحبتني، رفيقة دربي ... زوجتي
إلى بناتي ... بوصلة حياتي
... في رحلتي

....

عبد الله الداودي

تقديم

عزمت على أن أخط على مذكرة هاتفي، خلال أوقات فراغي، ما أراه وأحسه وأسمعه، طيلة رحلة قمت بها نحو الديار الفرنسية، خلال الفترة الممتدة ما بين 10 أبريل الى 17 منه سنة 2018، فدونت بعض تفاصيلها، وحاولت ان أعكس وأوثق بصدق كل ما صادفته في طريقي، ووصفت الأماكن التي زرتها وعادات الناس ونقلت كل

تدوين(ة) رحلة

المواقف التي تعرضت لها بما تحمله من
مشاعر فرح اللقاء، وآلام الفراق.

رغم أنني حاطب ليل، ولست من
محترفي ركوب خيل هذا الميدان، إلا أنني
قررت أن أجعلها تذكرة لنفسي ولغيري،
فجمعت خواطر بعض حركاتي وسكناتي في
عملي هذا، حتى لا يلفها غبار الضياع،
وتطويها سطوة النسيان، فليعذرني أهل
الإنشاء والبلاغة، وأهل النقد "الفلاغة"،
وليتجاوزوا عن زلاتي حتى وإن كانت فيها
مبالغة.

أعترف أنني أقرأ بغزارة وأحمل على
كاهلي مشروع ثقافي كنت قد بدأت مع ما
أنتجته من كتب في الساحة الثقافية، إلا أن
واقع الاحباطات والعوائق في غياب أي شكل
من أشكال التشجيع! أصبح يهدد المشروع
من أساسه، ويُسكت ذلك المحرك الذي

عبد الله الداودي

بداخلي ينبض بالحياة و قد يشل اليد التي
تكتب، الأمر الذي قاومته بكل ما أوتيت من
قوة رغم الاكراهات، وبعثت تلك القوة
الكامنة بداخلي لأعود الى ميدان الكتابة.

لقد حاولت أن أجعل عملي هذا فضاء
للتوثيق الزمني والمكاني، ليكون أكثر
ضماناً لعمق هذا البوح الراسخ في الذاكرة،
واستمراره على مر الزمان، بل يمكننا القول
عموماً إنه يتحدى مجال التدوين والاعتراف
حين يحول ممارسة الكتابة ذاتها إلى وعي
محمل بحمولة عاطفية، لإدراك المراحل
والمشاعر التي شهدتها الرحلة.

حاولت أن يعكس عملي هذا صورة
رحلة، وما صاحبته من حوادث مرتبطة،
تعمقت أحيانا في تفصيلها والنظر إليها من
جوانب متعددة، لأضفي عليها قيمة إنسانية
خاصة، مع الارتباط بزمنها ومكانها

تدوين(ة) رحلة

وشخصها، وما اكتنفتها من مصاعب
وعقبات بتصوير المواقف والعادات
والأخلاق... بطريقة وأسلوب يغلب عليه
الطابع السردى.

لعبت مذكرة هاتفي النقال دورا
أساسيا في إخراج هذا العمل الى الوجود فقد
كتبت أبرز أفكاره الخامة خلال جلسات
انفرادية للتصالح مع الذات، بعيدا عن
ضغوط حياة العمل اليومية وإكراهات الحياة
الاجتماعية بطنجة، هناك بعيدا عن هذا
وذاك، على كراسي المقاهي والمنتزهات،
كنت ألقى بأثقالى على الكراسى لتندفق
أفكاري وألممُ شتاتها، بلمس شاشة هاتفي
النقال العجيبة التي كانت بالنسبة لي خير
جليس وأنيس، ونعم الأنيس، لما تحمله من
أصناف كتب قيمة تروي عطشي، وتونس
وحدتي وغربتي، وكانت لي فيها مآرب
أخرى.

عبد الله الداودي

لست مولعا بالسفر الى الخارج، فأنا الذي كنت مقتنعا أن أفضل سياحة هي السياحة الداخلية، فزرت جل المدن المغربية من الشمال الى الجنوب، ومن الشرق الى الغرب، إلا أن طارئا جدّ جعلني أقف أمام باب مراكز الفيزا، وأدفع مبالغ مالية بدون مقابل، وأحضر بكل عناية ملفا لهذا الغرض، فالجديد ليس سوى أن جزءا مني، بنيته بكل عناية وحرص على مر العشرين سنة السابقة، أتاحت له فرصة متابعة الدراسة والحصول على دبلوم مزدوج فرنسي/مغربي وهي فرصة لا تتاح إلا للمتفوقين من طلبة مدارس المهندسين بالمغرب، فكانت رحلتي بهدف الدعم النفسي والمعنوي، رغم أنها كانت متأخرة نسبيا بسبب التعقيدات الإدارية، التي تمكنتُ هذه المرة من التغلب عليها.

تدوين(ة) رحلة

الوصول الى باريس

أقلعت الطائرة، من مطار ابن بطوطة الدولي بطنجة العالية، على الساعة 15 و40د بالتوقيت المحلي المغربي وبعد اجتياز مسافة 1590 كلم جوا في مدة ساعتين و25 دقيقة على أجنحة الخطوط الملكية المغربية في ظروف سفر جيدة جدا، حطت الطائرة بمدرجات مطار أورلي الدولي على 19 و05د بالتوقيت المحلي الفرنسي، وبعد

عبد الله الداودي

الإجراءات اليسيرة للخروج من المطار،
تستقبلك مدينة الأنوار باريس، بوجه بشوش
وابتسامة عريضة، تحيي فيك انسانيك
الضائعة، تسهيلات الولوج غاية في
المرونة، شرطة ليست كالشرطة! وجمارك
ليست كالجمارك! أناس غرباء يعرضون
عليك خدماتهم المجانية! أمام متاهات شبكة
عنكبوت النقل الحضري بهذا الميكالوبول
المترامي الأطراف، تشعر بنخوة المكان
ورهبة اللحظة.

الشكر كل الشكر لسيدتين رائعتين
صادفناهما عند خروجنا من المطار ووقفنا
صحبة مجموعة قليلة من المسافرين عند
محطة الحافلة التي ستقلنا الى مركز المدينة:

- السيدة الأولى عاملة بمطار
أورلي، كانت في طريق عودتها من العمل،
استحملت تيهاننا واستعملت كل طاقتها لنصل

تدوين(ة) رحلة

الى محطة مونسوري حيث تسكن هناك قرب
الحي الجامعي.

- السيدة الثانية سيدة رافتنا وهي
عائدة بالصدفة، بعد مرافقة صديقها الى
المطار، في طريقها الى محطة بوابة إفري
محطتنا المقصودة لتكمل هي طريقها.

قبالة المحطة، وجدت نفسي في
مكان مألوف، سبق أن تجولت فيه، بتقنية
الأبعاد الثلاث، عبر شاشة حاسوبي من داخل
منزلي بطنجة، على الواجهة الثانية من
الشارع يوجد الفندق موضوع الحجز المسبق
للمبيت(حجز رقم 1638453684)، دليل
الإقبال الشديد على هذا الفندق الذي حجزت
فيه بالصدفة وأنا أتصفح عروض موقع
Booking.com ربما كنت أبحر بحثا عن
عروض رخيصة واقتصادية لقضاء ليلة
بباريس، و حجز غير مسترد القيمة بالسعر

عبد الله الداودي

المخفض، لم أكن أبحث عن رفاهية المكان خاصة بعد أن تأخرت في تأكيد حجز سابق بنفس القيمة في شبكة عالمية للفنادق ندمت عليها في ما بعد.

استقبلنا في مكتب الإستقبال بالطابق الأول، شاب صيني هزيل البنية، شديد الحرص على ضبط التفاصيل والبروتوكول السياحي، مباشرة بعد التأكد من هويتنا وحجزنا، رافقنا الى الطابق الثالث والثلاثون، بعد الخروج من المصعد قادنا في ممرات ضيقة وملتبوة نحو غرفة مطلة على الشارع الرئيسي وجنوب غرب مدينة باريس، وأخذ يشرح بدقة شفرة فتح الابواب التي سبق أن دوّنها على ورقة خاصة، مكنني منها عوض المفتاح أوالبطاقة.

تطل الغرفة بعنفوان لا مثيل له على مدينة باريس، في الحقيقة هي أول مرة أطل

تدوين(ة) رحلة

من نافذة بهذا العلو، ينتابك شعور أنك فوق الضباب، في الاسفل البعيد سيارات و حافلات كالذباب في أسراب تسابق الزمن، والترام يسير كالحية في مساره الممتد على طول الشوارع، الناس في سباق مع الليل الذي بدأ يبسط رداءه.

عبد الله الداودي

جولة ليلية بباريس

بعد النزول بالنزل والاستراحة لبعض الوقت، خرجت على الساعة العاشرة ليلا بحثا عن قنينة ماء وبطاقة هاتف جوال... فسأقتني قدماي في شارع Masséna الطويل قرب Porte d'Ivry اتجهت غربا حيث حركة المارة قليلة إلا من بعض الملونين خاصة العنصر الاصفر الصينيين بالأساس والعنصر الاسود من افريقيا ما

تدوين(ة) رحلة

وراء الصحراء، منهم من يبحث في القمامة،
ومنهم من يسير مسرعا دون ان يلوي حوله
كأنه يسابق الزمن، ومنهم من يتبعني
بنظراته المريبة...

وجدت في طريقي متجراً تبدوا عليه
حركة رواج متميز، ولجته فإذا به حانة
وقاعة قمار، اخترقت الجمع وأنا أشعر
بالأعين تتبعني عن كثب، وترقب حركاتي
وسكناتي، يتطاير منها بريق كالشرر، فترى
بعضهم سكارى وما هم بسكارى.

تقدمت، وسألت أحد العاملين عن طلبي من
الماء فأعطاني قنينة صغيرة من فئة 33
سنتلتر لا تلبى حاجتي، فاعتذرت منه، ثم
عدت عند البائع في المتجر بأحد الزوايا،
لاستفسره عن بطاقة الهاتف، فما حصلت
على طلبي، خرجت ووقفت راجعا دون ان
اجد حاجتي.

عبد الله الداودي

في طريق العودة اقتحمت عزلة احد
المارة، لأستفسره عن مكان آخر لاقتناء
الماء، سرعان ما أدرك أنني مغربي، ليكلمني
باللغة العربية ويخبرني أنه من الدار
البيضاء، وبعد تجاذب حديث شيق لبضع
دقائق، يقول لي كفاك بحثا، المكان غير
آمن، من الأفضل أن تغادر، حينئذ أدركت
خطورة وضعي وأنا غريب عن المكان، وفي
غنى عن أي تعقيدات قد تخل ببرنامج
رحلتي، فما كان مني إلا أن كنت له من
المنصتين والشاكرين،

انسحبت بهدوء وسرعة، عدت الى الغرفة
أمني نفسي بليلة باريسية متميزة، أعوض
فيها ما لقيته من نصب في سفري، أترنم
بعبارات وأقول:

الليلة سأثبت القمر،

لحجز تذكرة سفر،

تدوين(ة) رحلة

نحو ملكوت الحب والسهر،

على نغمات من جوالي العود والوتر،

في الأعالي بعيدا عن عيون البشر.

إلا أن الأمانى سرعان ما تبددت،
فصورة الفتاة الشقراء التي تحمل حذاءها
ذي الكعب العالي في الطابق السفلي...!
وحالة الإحباط التي عمت النفوس، والتعب
الذي تمكن منا، شكلت بالنسبة لي خيبة أمل
بحجم الفرق بين الحجز في العالم الافتراضي
والواقع الفعلي للنزل، واحتفظت بالتذكرة،
تذكرة السفر والسهر الى أجل غير مسمى.

إنارة الغرفة رائعة، خافتة، شاعرية،
تغري بالخلود الى النوم العميق لمن هو في
حاجة لذلك، لذا عند عودتي من جولتي،
وجدت هديلا في استقبالي، جمح رغباتي،

عبد الله الداودي

عوضتها بحمام ساخن يزيل أدران السفر،
ويكمد أطراف المتهاكة.

تدوين(ة) رحلة

نحو محطة

Paris Bercy

استيقظت باكرا، لألقي نظرة من
النافذة العجيبة، حركة مرور هادئة في
الشوارع، تترائ غير بعيد ملاعب تعج
بالحركة لممارسي الرياضات الصباحية، لا
شيء أجمل من لحظات نقاء وهدوء الصباح،

عبد الله الداودي

أحسست بغبظتهم، كيف لا وأنا في غرفة سمفونية صوت الهديل، لازالت تتردد على مسامعي يخرج للأفق شيئاً فشيئاً، ليغزو مسامع الحياة التي بدأت بالظهور، حقيقة لا شيء أجمل من الصباح وتدرج الصعود ليوم جديد مليئ بالمفاجئات.

كانت الشمس قد بدأت ترسل أشعتها الذهبية عبر النافذة، لتؤكد لي صواب اتجاه القبلة الذي اتخذته للصلاة يوم البارحة.

تمتد المدينة على مد البصر، مزركشة بخضرة الأشجار على امتداد الشوارع والحدائق، وقد سبق أن قرأت بالصدفة، أن عدد الأشجار في المدينة يتجاوز أربعة ملايين شجرة، وربما كان لهذا الكم الهائل من الأشجار الفضل في تعويض أوكسجين باريس، وجعل صباح المدينة منعش.

تدوين(ة) رحلة

غادرنا الغرفة على الساعة التاسعة والنصف، محملين بأثقال لا تعلم بوزنها غير ذراعي اللتين أحسست أنهما تمددتا من شدة الثقل، والحقيبتين اللتان أعلننا استسلامهما لمصيرهما المأساوي، فقد عاشتا تجربة مريرة في المطار، تفككت على إثرها أوصالهما، والآن يتفكك منهما ما تبقى من الاطراف، الأولى تفككت عجلتها وتساقطت بعض الأجزاء الحديدية المشكلة لهيكلها، فأصبح منطق الأمر الواقع يفرض حملها، بطبيعة الحال لم يكن بيننا نحن الإثنين من هو مؤهل لحمل الأثقال سواي.

كانت الحقائب الأربع محملة بكل أصناف المواد، وكأنا في رحلة لتموين وإطعام الشعب الفرنسي بالوجبات المغربية المعتقة من كعب غزال الى الشباكية ولم لا الكسكس بسبع خضار...

عبد الله الداودي

قبل السفر كنت قد صرفت وقتا
طويلا في تحميل المواقع والخرائط
والحجوزات في الفندق والحافلة، لأنني كنت
أدرك ان مشكل التواصل عبر الشبكة
العنكبوتية سيتوقف بمجرد خروجي من
التراب الوطني، وبالفعل ساهمت هذه
الخرائط كثيرا في ارشادي، رغم أنني كنت
أرافق من يشكك في قدرة هذه الخرائط على
إرشادنا، ويزداد هذا التشكيك مع الكثير من
العبوس والتهجم، كلما ازدادت المعانات مع
أثقال الحقائب الاربع، فقديما قيل ثلاثة لا
تلومهم عند الغضب: المريض والصائم
والمسافر، وأضيف خاصة إذا كان محملا
بأثقال.

تدوين(ة) رحلة

توصلت برسالة من إحدى سيدات
باريس⁽¹⁾.

¹ - Bonjour A... et S... Je suis contente de vous avoir rencontré et d'avoir pu vous aider un peu pour aller jusqu'à Porte d'Ivry. Je vous souhaite un très bon séjour en France auprès de votre fille. Vous m'avez dit que vous avez 4 filles et vous m'avez dit que j'étais votre "ange gardien".

Moi, mon ange gardien il est au ciel, c'est ma fille unique partie trop tôt à l'âge de 15 ans, le 13 décembre 2016 après s'être battue contre le cancer dès ses 9 ans.

Mon cœur restera à jamais avec une cicatrice qui ne guérira pas mais je continue à mener ma vie avec amour pour qu'elle soit fière de moi, depuis là haut.

Si jamais je viens au Maroc, je ne manquerai pas de vous le dire, mais pour l'instant mes

عبد الله الداودي

جاء الرد كالتالي (2):

projets ne sont pas grand car j'ai perdu mon emploi juste avant que ma fille tombe malade et depuis je peine à retrouver un emploi surtout à mon âge (54 ans) et pourtant je suis chimiste et experte en réglementation européenne. Mais voilà aujourd'hui, je tente de me reconstruire et travaille via internet depuis chez moi. Aujourd'hui est une belle journée, le soleil brille. Très bon séjour et prenez soin de vous.

Je vous embrasse.

Laurence Jarret Tel [---- 424735](tel:424735)

- ² Bonsoir madame Laurence

Je suis très désolé pour ta fille, mes sincères condoléances.

تدوين(ة) رحلة

احيانا كثيرة كنت أتفهم هذه الحالة من التجهم، لأنني كنت بدوري، عدة مرات، أدخل في حالة يأس من نهاية هذه المتاهة/ السفر، ثم سرعان ما كنت أتجاهل الواقع بحجة ان الوصول قريب وأكد، ما دمت أملك من الزمن ما يكفي للحاق بالمواعد

Vraiment vous étiez notre ange au Paris, et vous nous avez donné la première interprétation sur les parisiens.

Nous avons l'honneur de vous connaître, et pourquoi pas de vous accueillir Maroc.

On a passé la nuit hier à Paris et actuellement on est à Troyes chez notre fille, c'est une belle et calme ville.

Très bon courage dans ta vie.

Passez une très bonne soirée.

عبد الله الداودي

والحجوزات المبرمجة، مكسرا بذلك مقولة
أن "المرء لا يسافر لكي يصل، بل لكي
يسافر" ويتمتع بوقته ولقاءاته مع أناس من
ثقافات أخرى، فأنا خلال هذه المرحلة كنت
أنشد الوصول لا غير، الوصول الى آخر
محطة.

كنت قد برمجت جولة صباحية حرة
بباريس قبل السفر، لأزور معالم المدينة
وألتقط صوراً، ككل من زار المدينة، لبرج
ايفل وقوس النصر والشانزليزي... لكن
واقع الحال الذي أصبحنا عليه وأصبحت
عليه حقائبنا، يفرض علينا الخروج للبحث
عن وسيلة اللحاق بمحطة باريس بيرسي،
فقررت النزول محملاً بالحمولة العجيبة التي
هدت قوانا، نزلنا من برجننا العاجي، مملكة
الصينيين.

تدوين(ة) رحلة

انطلقنا في الشارع الممتد... الذي أصبح لا ينتهي كمعاناتنا مع حقائبنا التي هدت قواها وقوانا، سرنا فوق حدى قناطر نهر السين العظيم السبعة الثلاثين المتواجدة بالمدينة، ثم انحرفنا يسارا بعد الجسر نحو محطة ميترو قريبة، لنفاجأ أننا دخلنا من باب الدرج الثابت، درج مستمرل يمتد على حجم اربع طوابق.

تمكنت من حمل اثقالي وشرعت بالنزول، عندما رفعت بصري المنهك، لمحت صاحبتى في الأعلى متجهمة، شديدة الاحمرار، وكأن الدم الذي يجري في عرقها تجمع في وجهها، تصارع حقيبة بحجم وزنها، اقتربت منها امرأة فرنسية في الثلاثينات من عمرها، كانت قد سعدت الدرج، عرضت عليها المساعدة، قبلت بسرعة وبدون تردد، مع ابتسامتها المعهودة، لتعود المرأة/المنقذة للنزول من

عبد الله الداودي

جديد، حوالي ستين درجا، لتساعدنا في حمل الحقيبة، بل عرضت عليها حملها بمفردها لاشفاقها على حالها، في هذه اللحظة، يمر أحد الشباب المغاربة، تظهر عليه علامات التشرد، على الواجهة الثانية من الدرج صائحا: "وا الحمالة"، موجهها كلامه لصاحبتني، نظرتُ اليه نظرة شزر وكانها تقول له من الكافر انت ايها الوقح ام هذا الملاك.

وصلت المرأة اسفل الدرج، كنت قد وصلت بدوري للتو، قدمنا لها جزيلا الشكر، وعادت من جديد للصعود عبر الدرج المتحرك، وهي ترسم ابتسامة عريضة على محياها السرح، أحيانا يدخل البعض في طريقك كنعمة، ويغيب في الزحام، لتستمر رحلتنا مع الاثقال، أثقال الحياة، فمهما كنا أقوىاء وأشداء فإننا لا نستطيع حملها وحدنا، نكون دائما بحاجة الى من يحمل عنا شيئا

تدوين(ة) رحلة

منها، أو يساعدنا في حملها، غالبا يأتي من حيث لا نحتسب، مادام في أقصى أنفاق عتمة المترو، التي تحمل جذرانها نذوبا بحجم آلام الجيل الأول من العمال الأجانب المهاجرين، نور محطة بيرسي، محطتنا المنشودة.

بسرعة فائقة اصبحت المحطة المظلمة موحشة، فارغة من اي حركة في لمح البصر، الناس يجرون بشكل هستيري، وكأن الرعب يسري في جنبات هذه الأنفاق، ونحن اللذين كنا نطمح لاستراحة مسافر ولو لبضع دقائق، الا اننا وجدنا أنفسنا مجبرين على جر اثقالنا من جديد، هذه المرة بحثنا عن المصعد، فكان المنقذ من عذاب الصعود الى السطح، حيث الشمس، يبرزغ النور بعد حلقة الظلام، كذلك يأتي الفرج بعد ضيق السبل، واليسر بعد العسر، لنتنفس الصعداء، وكأننا خرجنا من ضيق القبر وظلمته، لتظل

عبد الله الداودي

علينا محطة بيرسي للقطارات والحافلات من
على بعد عشرات الامتار.

تدوين(ة) رحلة

الوصول الى تروى

ستنتقل حافلة Ouibus التي كنت قد أكدت الحجز على متنها نحو تروى قبل أيام، من محطة باريس بيرسي التي وصلت اليها مبكرا قبل الانطلاق بساعة ونصف، و كانت مناسبة كافية لأتبع بدوري خطوات العابرين للمحطة، ولنسترجع أنفاسنا وقوانا المنهكة، الحقيقة أقول انني خلت نفسي داخل بهو محطة قطار طنجة أغلب الحاضرين

عبد الله الداودي

بجانبى من الملونين ناذرا ما يلج هذا
الفضاء الشاسع ذوى البشرة البيضاء، فجأة
اخترق صمت القاعة اربعة اطفال من أصول
إفريقيا ما وراء الصحراء، تبدو أعمارهم
تتراوح ما بين العاشرة و الاثنى عشر
انقضوا على لعبة بلياردو فتكسر صمت
المكان بضجيجهم ظلوا كذلك حتى اشبعوا
غريزتهم من اللعب، فانسحبوا. امرأة محجبة
تترك ابنها بجانبنا لتذهب بحثا عن الابن
الثانى في قاعات المحطة...

كانت الساعة قد اقتربت من الواحدة،
موعد دخول الحافلة الى المحطة، لملت
اغراضي وأشرت لصاحبتى بالحركة نحو
ساحة مفتوحة تتوقف بها حافتين واحدة
منهما هي المعنية بهموم وأفراح رحلتنا،
تنطلق من باريس نحو ليون مرورا بتروى
وديدجون، ببابها يقف السائق لمراقبة الهوية
والحجز وتحديد رقم المقعد، وضعت بنفسى

تدوين(ة) رحلة

حقابي وأغراضي في المكان المخصص لها،
وصعدنا الحافلة، كان المقعدين المحجزين لنا
يحملان على التوالي رقمي A 6 و B 6، غير
بعيد عنا جلست أسرة مغربية من ثلاثة
أفراد، وعدد كبير من أصدقائنا(3) الأفارقة،
الظاهر ان أغلب الركاب أجانب.

انطلقت الحافلة من محطة بيرسي،
تخترق شوارع باريس المزدهمة رغم
شساعتها، ازدحاما رهيبا، فقد تزامن
انطلاقها مع وقت الذروة بعد الزوال، على
الرغم من أن أغلب الباريسيين يفضلون
وسائل النقل العمومي لتفادي الاختناق
المروري، والحقيقة ان ذلك يتجلى في
إقبالهم الكبير على استعمال بطائق النقل
العمومي، لاحظت ذلك عندما ركبت حافلة

³ صديقي mon ami مصطلح يتم تداوله على نطاق واسع
بطنجة خلال التعامل مع المهاجرين الأفارقة.

عبد الله الداودي

Orlybus من مطار أورلي الى محطة
Montsouris وعندما ركبت الترام من
محطة فراسوا متيران الى بيرسي، وهذا لا
يمنع من أن حركة السيارات الخاصة بدورها
كثيفة جدا.

انطلقت الحافلة تطوي الطريق
السيار الممتد على بساط السهل الباريسي
الكبير المترامي الاطراف والشديد الخضرة
بسرعة تسابق الزمن المضبوط ضبطا عجيبا
من طرف السائق، الذي انطلق عند الساعة و
الدقائق المحددة للإنطلاق بالضبط دون
زيادة ولا نقصان، سارت بنا في هدوء لا
يكسره سوى صراخ أطفال عائلة من اصول
افريقيا السوداء، فجأة فاحت رائحة غريبة
وكريهة من الخلف، ليست سوى رائحة
تغوط أحد أطفال الأسرة المذكورة، ليشرع
السائق في تنبيه الركاب بمكبر الصوت رجاء

تدوين(ة) رحلة

حافظوا على نظافة المقاعد كما وجدتموها عند الركوب، وكأنه يقصد بكلامه شخصا معينا.

وصلت الحافلة الى ساحة، عبارة عن موقف للسيارات ب Saint Marie، بعيدا عن وسط المدينة بسبع كلمترات، على الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي ديجون Dijon وباريس Paris، سأكتشف فيما بعد أنه مركز تجاري كبير، يقصده الفرنسيون من مدن بعيدة، تبين لي ذلك عندما استفسرت بعضهم، فأغلبهم عابرون لا يعرفون مدينة تروى جيدا.

جلت في المكان بحثا عن وسيلة للوصول الى مركز المدينة وبالضبط الى شارع الرابع عشر من جوييه، دون جدوى، كل محاولاتي باءت بالفشل، لم يبق سوى التعامل مع الواقع، والواقع مر، هو أثقل من

عبد الله الداودي

الأثقال التي بحوزتي، بدأنا عملية الجر والتجرجير، في شارع طويل لا نهاية له، وجدت محطة حافلات حديثة العهد، سرعان ما أخبرني احد السكان يقف بباب منزله، تبدو عليه ملامح ذوي الأصول الآسيوية، ان الخط جديد، أحدث خلال الأسبوع الجاري، والحافلة سبق ان مرت قبل بضع دقائق وتأتي على رأس كل ساعة.

بدأت عقوبة الجر من جديد، فكرنا في كل الاحتمالات، وبينما نحن في صلب المعانات، مرت بنا سيارات بالمئات لمسلمين وغير مسلمين، لمحجبات وملتحين، لا وجود لسيارات الأجرة! الا ان سيارة حمراء صغيرة من نوع بوجو 205 كانت تسير في الاتجاه المعاكس، يسوقها شاب يافع في الثلاثينات من عمره سمح الوجه بابتسامة عريضة، تابعنا بنظرته ثم سرعان ما قام

تدوين(ة) رحلة

بالالتفاف والوقوف بجانبى، موجهها الكلام الي: أحتاج مساعدة؟ وكأن جوابى كان جاهزا بالايجاب.

أوقف سيارته على الجانب، ونزل جميل الوجه والمحيا، ثم استفسرنى عن اتجاهى فعندما اخبرته بالعنوان قال سأوصلكما وفتح باب الحقيبة الخلفية لسيارته الصغيرة والتي لن تتسع لحمولتنا فنزع الغطاء ورتب حقيبة سيارته، ووضع فيها أغراضنا حمل بنفسه الحقيبة الأولى ثم وضعت الثانية واغلق الباب بصعوبة، وانطلق بنا يخترق الشوارع لمسافة تقدر بسبعة كيلومترات، لنصل الى شارع 14 جوييه.

في الطريق اخبرنى ان اليوم يوم عطلته خرج فى سيارته الصغير للتجول، وكان جوابى ان الله بعثك لنا هذا اليوم الذى

عبد الله الداودي

اخترته ان يكون يوم عطلتك، لتتقذنا من هذه
الورطة.

ابتسم... وقال: ربما.

عند دخول الشارع المقصود، الذي كانت
معالمه حاضرة في ذهني من خلال تصفحي
للخرائط الكترونية ذات الابعاد الثلاث.

بدأ يبحث عن العنوان بدقة، أحسست
بالاحراج من شدة طيبوبته، فألححت عليه
بالتوقف، وعرضت عليه دفع تغطية
مصاريف النقل، وان كنت أدرك في نفسي
انني مهما دفعت له لن استوفيه أجره، فكان
جوابه: اتريد أن تغيضني، أبدا أبدا...
استمتعا بوقتكما في تروى .

أخجلني جوابه، شكرته مرة أخرى،
وعبرت له عن محبتي لهذا السلوك

تدوين(ة) رحلة

الحضاري الذي قام به، وانطلق الى المجهول
تعلو وجهه ابتسامة ملائكية.

عبد الله الداودي

مدينة تروى

Ville de Troyes

جميلة ورائعة، هادئة تمتد في دلال
وديع، على ضفاف نهر السين، تمتزج فيها
أصالة وعبق الماضي وجمال ورونق
الحاضر، تُعتبر من المدن الفرنسية القديمة،
زاخرة بالتراث والتاريخ النابض بين أركانها
وتلالها ووديانها، يرجع تاريخها إلى الحقبة
الرومانية، لعبت دورا تجاريا مهما وتمتعت
بمكانة جيدة خلال العصور الوسطى، حتى

تدوين(ة) رحلة

اعتبرت ثالث مدينة أوروبية خلال القرن 13م
تتوسط عدة مدن فرنسية منها العاصمة
باريس، ورائس، وديجون، ونانسي...

وبفضل وفرة المياه، والمطاحن، ودور
النسيج، والمدابع، ومصانع الورق، ومرافق
الصباغة، تطورت المدينة وزادت شهرتها
وشعبيتها خلال القرن الرابع عشر فعقدت
بها أسواق ومهرجانات في جو من
الاحتفالات الشعبية لتبادل الأقمشة والحريز
والحلي.

تذكر كتب التاريخ(4) أن مدينة تروى
شهدت نشوب حرائق مدمرة سنة 892م
و1188م، وفي 24 مايو 1524 عرفت

4 voir Histoire de Troyes, Françoise Bibolet ,A
Boisseau , Chantal Rouquet , E Saint-mars, les
éditions de La Maison du Boulanger, 1998 .

عبد الله الداودي

المدينة أيضا حريقا رهيبا دمر ثلث المدينة:
حوالي 1500 منزل، فضلا عن الكنائس
كانت الأحياء المدمرة مأهولة بالسكان في
معظمها.

رغم ذلك تمكنت من النهوض، فشهد
عصر النهضة منذ القرن الثالث عشر ميلاد
مدارس فنية بالمدينة للنحت والرسم
والزجاج لدرجة أن عرفت بمدينة للزجاج
الملون.

وخلال العصور الحديثة تضررت
مدينة تروى، الى جانب مدن الشمال
الشرقي، كثيرا من الحروب الثلاث المتعاقبة:
الحرب البروسية الفرنسية 1870 والحرب
العالمية الأولى 1914 والحرب العالمية
الثانية 1939، رغم هذه النكبات حافظت
المدينة على معمارها التراثي المتميز،
وسرعان ما تمكنت من الانبعاث من الرماد

تدوين(ة) رحلة

كطائر الفينيق، بدم جديد، أجمل مما كانت عليه.

تتوفر المدينة على تراث معماري حضري غني بالعديد من المباني المحمية كآثار تاريخية، مما أهلها ليتم اعتبارها مدينة الفن والتاريخ، من قبل اللجنة الوطنية للآثار التاريخية لتوفرها على 42 موقع مسجل محمي يتنوع بين كنائس وفنادق ودور ...

تشتهر المدينة بأزقتها الضيقة (مثل زقاق القطط Ruelle des Chats)، وبيوتها النصف خشبية (مثل بيت الخبز Maison du Boulanger)، المصممة على طراز موروث العصور الوسطى وعصر النهضة، بألوانها المميزة وبرونقها الرائع بفعل الترميم الدقيق الذي عرفته البيوت خاصة المحمية من طرف لجنة خبراء مختصة لحماية وترميم الآثار.

عبد الله الداودي



Cathédrale des SS Pierre et Paul à Troyes
Façade occidentale

تدوين(ة) رحلة

المركز الاسلامي بتروى

خرجنا في الصباح لنجوب شوارع
وأسواق المدينة على أن ندرك صلاة الجمعة
بمسجد الامام الغزالي بالمركز الثقافي
الاسلامي بالمدينة، وبعد التجول في سوقين
كبيرين، أدركنا حجم غلاء السلع والمواد
الغذائية التي نقتنيها باستمرار من المساحات
التجارية في بلدنا، قررنا التسوق من هنا،

عبد الله الداودي

من هذه الارض البعيدة، لكن كابوس الاثقال في رحلة الإياب ظل يلاحقنا، وليكن فقد وعدت بناتي بالمفاجئات عند العودة ولو على حساب راحتي في الرحلة القادمة.

غير بعيد، عند بقايا معمل قديم، يوجد المركز الذي يشغل جزءا من البناية القديمة تم اصلاحها لتهيئة قاعة الصلاة خاصة بالرجال و أخرى للنساء، حضرت خطبة الجمعة، وكأنك تحضر خطبة جامع مغربي تنقصها الدعاء لعاهل البلاد، ركز فيها الامام المغربي، الاصل المالكي المذهب، على موضوع أشراط الساعة والاستعداد ليوم القيامة الذي أصبح غير بعيد منا، يقول الإمام: "اقترب كقرب السبابة من الوسطى..." فالامام بموضوع خطبته، بعيد كل البعد عن حياة المصلين اليومية ومعاناتهم الدينية والدنيوية في ارض المهجر غير اسلامية.

تدوين(ة) رحلة

امتأأت القاعة بالمصلين من مختلف الجنسيات مع غالبية المغاربيين، إلا أنني سجلت انعدام ذوي الأصول الفرنسية من أصحاب البشرة الشقراء، وطبيعي لأن خطاب الإمام لا يرقى الى مستوى الدعوة الى التسامح والاندماج، والحب والاخاء بل يدعو الى الإنعزال والترهيب، وبالتالي فالخطاب الذي يروج له الامام ويلقى تجاوبا من الحضور لا يعكس قدرة هذه الفئة على المساهمة في الحياة العامة بمدينة تروى.

لا أستبعد ان تكون الجالية المسلمة كبيرة جدا بالمدينة التي يتواجد به سبعة مساجد، حضر للصلاة في هذا المسجد حوالي مئتين من المصلين واليوم يوم عمل يعني أن عدد الذين لم يتمكنوا من الحضور بسبب اكراه العمل أكبر بكثير.

عبد الله الداودي

إلا أنني ايقنت ان هذه الجالية المسلمة، لا يرقى افرادها لمستوى سفراء لنشر دين الاسلام السمح، فهم لا يقرأون تحية السلام، إلا وكأنهم يتصعدون في السماء، ينظرون إلي وأنا جزء منهم في جماعة المسجد نظرة ارتياب، الامام الذي تغيب سحنة الوقار من وجهه، يركز علي نظراته الثاقبة من فوق المنبر، وكأنه يسائل الحاضرين عن هذا الغريب!

- يا اخي ما الذي يربك؟

- انت لم تتكلم في اي شئ، لا في الدين ولا في الدنيا.

- كيف لك ان تكون داعية تحبب الناس في الاسلام؟

عند نهاية الخطبة شرع احد الحاضرين، الظاهر انه جزائري في ترجمة

تدوين(ة) رحلة

نص الخطبة ترجمة دقيقة بلغة فرنسية
متينة.

بدأ المصلون في الخروج، فسمعت
رفع دعاء للجزائريين بالنصر والتمكين!!!،
لم أفهم من سياقه شيئا، الا ان عددا من
المصلين لم يعيروه اهتماما كبيرا.

قررت أن أصلي في مسجد آخر،
لأخبر طبيعة بعض المساجد الأخرى، صليت
مرة في مسجد الإمام علي، وسط المدينة
غير بعيد عن شارع اربعة عشر جوييه، في
زنقة ضيقة، وباب صغير كتبت فوقه عبارة:
«باسم الله الرحمان الرحيم مسجد الامام
علي»، على غير عادة المساجد المعروفة
في البلاد الاسلامية، بعد الباب الخارجي ممر
طويل ينتهي ببيت للوضوء، ودرج يقود
الزائر نحو قاعة الصلاة في الطابق الاول،
في احدى زواياها شاب انيق يشرح على

عبد الله الداودي

سبورة لاربعة شباب، الظاهر انهم حديثي العهد بالاسلام، النطق بالشهادة حسب ما قرأت على السبورة.

قرأت في الصحافة خلال مقامي بالديار الفرنسية أن رئيس الجمهورية الشاب يشهد بتنامي الاسلام في وطنه، حينئذ تذكرت عمدة مدينة تروى الشاب وهو يقدم التحية لصاحبتى وابنتى، وهما في الشارع العام، يرتديان زيا اسلاميا واضحا، كإشارة منه للحضور الكثيف بتمتعه بثقافة التسامح الديني والانفتاح الايجابي على الثقافات الاخرى المتواجدة بالمدينة، خلال إعطائه اشارة انطلاق مهرجان طواف الدراجات الهوائية بالساحة الرئيسية بالمدينة.

أصبح واقع حضور الاسلام والمسلمين في فرنسا يتجلى في الحياة اليومية بالمرافق العامة، بكثرة النساء

تدوين(ة) رحلة

المحجبات، والرجال الملتحين ذوي السحنة
المشرقية والإفريقية، رغم نسبية هذا المعيار
الآخِر، إلا أنني وجدته معبرا، حيث يتجلى
بوضوح لكل من يتجول في شوارع أغلب
المدن الفرنسية، ويزداد تعبيرا عن تجذر
الظاهرة من مدينة لأخرى.

عبد الله الداودي

قصة اعتناق "إيف" لدين الإسلام

تذكرت خاطرة كنت قد كتبتها سنة 2012 على إثر حادثة وقعت أحداثها بين المغرب وفرنسا كنت طرفا في سبر بعض أحداثها.

في مدينة شامبيري Chambéry الفرنسية على مرتفعات جبال السافوا ولد ايف بريو Yves Brioux، مطلع الستينات، في

تدوين(ة) رحلة

أسرة مسيحية متوسطة الحال، تعلم في المدارس الحكومية وعملت الأسرة على ترسيخ مبادئ الديانة المسيحية في ذهن الطفل الصغير، إلا أنه لم يستطع يوماً أن يستشعر حلاوة و إيمان المتعبد، إلى أن انتشرت موجة الدعاية المضادة للإسلام بفرنسا بعد أحداث 11 ستنبر2001، فأخذ يتقرب من زملائه المسلمين في العمل، ليكتشف حقائق بعيدة كل البعد عن ما تروجه آلة التعصب والعنصرية، ضد الإسلام بفرنسا.

صورة والده السكير حاضرة دائما في ذهنه، فقد كان وهو صغير السن يبحث عنه آخر الليل، في أزقة مدينة شامبييري لمرافقته إلى المنزل، وهو يتمايل تتقاذفه جدران الأزقة. وبعد نضجه تزوج من مسيحية جمعته بها ظروف مادية قاهرة، سرعان ما بدأ يشهد بأم عينه خيانتها له،

عبد الله الداودي

وإحضارها لعشيقها إلى بيت الزوجية، بعد أن كانت قد أنجبت له أربعة أطفال: ولدين وبينتين، لم يستسغ سلوكها فما كان منه إلا أن هجرها.

شهد اعتناق ابنه البكر للإسلام، بعد زواجه من تونسية مسلمة، فرح "إيف" كثيرا بهذا الحدث، وباركه بقوة، فأصبحت زوجة ابنه هذه أعز أفراد عائلته، تقرب إليها كثيرا، وأضحى يفتخر بابنه البكر في كل المناسبات العائلية، في نفس الوقت الذي بدأ يبحث لنفسه عن زوجة مسلمة، فكان اتصاله عبر الشبكة العنكبوتية بفتاة مغربية جامعية، تحمل شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية، استمر التواصل بينهما سنتين كانتا كافيتين لاكتمال قناعته بالدين الجديد، لكن ما هي الخطوات التي كان عليه إتباعها ليصبح مسلما، قرر يوما زيارة عائلتها في المغرب.

تدوين(ة) رحلة

مباشرة بعد وصوله، قاما بالاتصال بالمجلس العلمي بمدينة طنجة، وهناك أعلن اعتناقه للدين الإسلامي بشكل رسمي واختار لنفسه اسم "موسى" تيمنا بزميله المسلم في العمل، من أصول سينغالية، الذي سبق أن أعجب بأخلاقه الإسلامية، وداخل إدارة المجلس العلمي، طلبت منه اللجنة ترديد الشهادتين ورددهما بصعوبة كبيرة، وأصر على تعلمهما، ولو برطانة الناطق بالفرنسية، سلمت له شهادة رسمية تشهد باعتناقه الإسلام أمام لجنة علمية.

مات "إيف"، وبموته غابت سلوكات وعلاقات ليولد موسى وتولد معه سلوكات وعلاقات جديدة ونمط حياة ينم عن رغبة في حياة أكثر استقرارا وروحانية، تتجاوز الآلام والصعوبات المادية التي كانت تطبع حياته العامة.

عبد الله الداودي

مساء هذا اليوم، طلبت مني الفتاة، عبر وساطة عائلية، مجالسته ومصاحبته إلى المسجد، باعتباري أحد أفراد العائلة الهادئين القادرين على تقبل كثرة تساؤلاته، أدركت أنه شديد الافتخار بهذه الشهادة التي تسلمها صباح اليوم، جلسنا جلسات مطولة، صلينا معا في المسجد، مختلف الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، ظلت اللغة العربية عانقا أمام فهمه لخطبة الجمعة مثلا، لمضمون الآيات القرآنية، إلا أنه كان يتوفر على رغبة عارمة لمعرفة وفهم الإسلام.

سألته مرة لماذا اعتنقت الإسلام، وقد ترعرعت في وسط مسيحي؟

أجاب ببساطة وعفوية قائلا: الحمد لله أن والدي لم يعمداني في الدير وأنا صبي، لم أحس يوما أنني مسيحي، تأملت سلوك من عايشتهم منذ طفولتي إلى أن أصبحت أبا

تدوين(ة) رحلة

لأربعة أطفال. من كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين، لم أحس يوما أنني على دينهم، كرهت الخمر والمخمورين منذ صغري ولم أتذوقه أبدا، عاينت الخيانة من أم أولادي، أعجبت بأخلاق بعض من عاشرتهم من المسلمين، فقررت في البداية، اكتشاف هذا الدين الجديد، من باب الفضول، ضدا على ما يروج له الإعلام الفرنسي، قرأت كثيرا عن الإسلام، بعد أن تعرض لحملة إعلامية مسعورة بفرنسا، فاعتنقته عن علم وقناعة، ولم أتردد يوما في قراري هذا.

حينئذ قلت في نفسي، أغلبنا في العالم الإسلامي مسلمون بالوراثة فقط، على صيغة هذا ما وجدنا عليه آباءنا، ولا نعلم عن الإسلام إلا القليل، عاد هذا الكلام بذاكرتي الى الوراء عقدا من الزمن، فتذكرت حوارا، دار في طنجة بيني وبين أحد الجيران، المسلمين من أصول فرنسية، كان

عبد الله الداودي

اسمه أبو بكر، أبهرني بدوره باطلاعه على لائحة طويلة من المصادر وأمّهات الكتب الإسلامية، والتي لا أعرف من أغلبها إلا العناوين، وأنا الذي أعتبر نفسي (أستاذًا)، فما بالك بعامة الناس.

كنت أجد صعوبة في ترجمة خطابي الديني، إلا أنني كنت ألمس في موسى حبا شديدا للإطلاع، ورغبة جامحة للمعرفة، مما شجعني على أن أكون أكثر تبليغا، وإقناعا، خاصة عندما بدأ يلاحظ أن بعض السلوكات والممارسات اليومية في المجتمع الذي يزوره لأول مرة، ويعتبره نموذجا للإسلام، لا علاقة لها بما يتلقاه من مبادئ نظرية، كسماع الآذان ودخول وقت الصلاة، وعدم قيام الناس من المقاهي للإلتحاق بالمسجد، فكان علي أن أجيب بشكل مقنع، وقد وفقت في هذا الجانب بشهادته والحمد لله، محتسبا هذا العمل خالصا لوجه الله.

تدوين(ة) رحلة

سألته عن سر هذا الإهتمام الكبير بالإسلام، وعن طموحاته المستقبلية، فقال: إن هدفي أن أبحث عن وسيلة أكون بواسطتها قريباً من الله، فالمسلم يذهب إلى المسجد (بيت الله) خمس مرات في اليوم، ناهيك عن حالات الذكر والنوافل، التي يتقرب بها إلى الله، في نفس الوقت الذي يمارس حياته اليومية وأنشطته الدنيوية بشكل عادي، كان لهذا الكلام وقع خاص في نفسي، وكأني أسمعه لأول مرة.

أضف قائلاً: أمنيته أن أعيش ما تبقى من حياتي إلى جوار زوجة مسلمة، تملأ علي البيت صلاة وذكرًا وروحانية، وأن أملك يختاً أجوب به بحار الأرض، وأتأمل ملكوت الخالق... هي في الحقيقة أمنيات بسيطة، لكن تنفيذها يحتاج لعمر طويل، والأعمار بيد الله.

عبد الله الداودي

بعد أسبوعين، عاد موسى إلى شامبيري ليلتحق بعمله، إلا أن مرضاً خبيثاً نخر أعضائه الداخلية، بفعل إدمانه السابق على التدخين، فنزل بالمستشفى المركزي للمدينة، ولم يخبر زوجته الجديدة بمستجدات حالته الصحية، بعد مدة سافرت لزيارته بفرنسا، إلا أنها وجدته طريح الفراش، أخبرها الأطباء أن حالته ميؤوس منها، نذبت حضنها المشؤوم، إلا أن إيمانها القوي كان يشد أزرها، و يقوي من عزمها، جلست إلى جانب سريرها، تلبس حجابها الإسلامي، تقرأ القرآن، وتردد الدعوات، وتلقنه الشهادتين، وكانت على يقين أن الله استجاب له الدعاء عندما طلب الجوار بربه على ملة الإسلام.

مات موسى، واستمرت السلوكات الحضارية للمسلم الملتزم بأخلاق دينه الراقية خير وسيلة للدعوة إلى الإسلام،

تدوين(ة) رحلة

فازدادت قوافل المعتنقين لهذا الدين السمح في البلاد الغير الإسلامية، على الرغم من العداة والتحريض التي تحركها ترسانة الإعلام والأحزاب العنصرية في الغرب خاصة.

عبد الله الداودي

جولة في مدينة تروى

تستوقفك المدينة لتأخذك بجمالها
الفتان، المتجلي في مختلف التفاصيل حتى
الدقيقة منها، فالطبيعة منحتها من رقائق
الجمال الشئ الكثير، أينما وليت وجهك فتمت
رُواء لمسات الطبيعة والبشر: خضرة يانعة
تنتشر في مختلف الأرجاء، حدائق شاسعة
على مجالات تحمل بعدا تاريخيا كمنتزه

تدوين(ة) رحلة

المطاح Park des moulins، حيث يمتد مجال أخضر منظم تنظيما رائعا حول بناية سكنية تاريخية مهجورة، يعود تاريخ بنائها غالبا الى القرن التاسع عشر، لازالت معالم وتفصيل زخارفها لم تتغير إلا بالعوامل المناخية رغم وجودها في مكان مهجور، وبناية ثانية هي للمطاحن المائية فوق مجرى النهر التي تعود بدورها في الغالب لنفس الفترة.

تم استغلال المجالات الغير الصالحة للبناء لتتحول الى فضاءات خلابة زاد من رونقها تدخل الانسان الفنان، الذي هو في الغالب عامل من أصول اجنبية، تمكن من تحويل حدائق المدينة الى باقات ورد رائعة كأنك امام ممون حفلات مغربي يزين حفل عرس لعروس فرنسية.

عبد الله الداودي

زاد من جمالية هذه الفضاءات وجود تحف فنية راقية في الشارع العام وما تحمله من دلالات: مجسمات برونزية (المرأة الإفريقية المنحنية...)، منحوتات رخامية، وناפורات فريدة، وشلالات متميزة... يزيدها جمالا عدم تعرضها لعنف الفضوليين، الغير الموجودين أصلا.

يخترق المدينة نهر السين بصيب مرتفع، هادئ كهدوء تروى، وهادر كصخب باريس، يعطيك إحساس أن المدينة كلها قنوات ومجاري النهر وفروعه، مياهها نظيفة بشكل يستحيل أن تلحظ على سطحها أي شكل من أشكال النفايات، بل من حين لآخر يتتابع البط على شكل أسراب فوق الماء، والسمك يتراقص بأحجام مختلفة على السطح، وطيور الحمام تمشي في أمان بين أرجل العابرين، حتى طيور البط المائي عندما تخرج الى جنبات القناة لا تخشى

تدوين(ة) رحلة

الراجلين، عموما كل شئى يوحى، حتى للحيوان، بالأمن والأمان.

استيقظت يوم الأحد باكرا، وخرجت في جولة صباحية، لأرى المدينة في جو مختلف عن منظر الجولات المسائية المعتادة، وبالفعل غريب أمر هذه المدينة، الساعة اصبحت تشير الى الثامنة صباحا ولا أحد يسير في الشارع الكبير الواسع العريض، الذي أسير فيه على طول قناة La fontaine، سوى امرأتين تجران كليهما وثلاث هواة صيد بالقصبة على ضفاف المجرى/القناة المهيئ تهيئنا يرقى الى مستوى جمالية المدينة، هدوء تام، حركة خفيفة جدا للسيارات، لا يكسر صمت هذا الهدوء سوى قرع فحج للاجراس بشكل مسترسل لمختلف الكنائس الموجودة بالمدينة بكثرة، أكثر من عشرين كنيسة، عاينت منها الكاثوليكية والبروتستانتية

عبد الله الداودي

والإنجيلية، ورغم ان البلد علماني لا احد يجرأ على القول ان صوت الاجراس يقلق راحة السكان.

بعد الثامنة صباحا لازالت الحركة شبه منعدمة وكأن ممر الراجلين الذي يفوق طريق العربات بمرتين، خصص لي وحدي.

انضباط شديد لعلامات التشوير الكثيرة جدا على جنبات الطرق اوتلك المرسومة على الارض، سواء المخصص منها للراجلين اولأصحاب الدراجات والعربات، فالراجلين اكثر انضباطا لقانون السير من السائقين، الامر الذي يفرض على السائق الانضباط بدوره، دون استعمال المنبه الصوتي، فخلال اقامتي بالمدينة لما يناهز الاسبوع، لم اسمع صوت منبه سيارة سوى مرة واحدة، شكل الحدث الذي شد فضول وانتباه كل المارة، الأمر الذي اخجل

تدوين(ة) رحلة

السائق، وياليتني ما التفتت بدوري لجهته، فالظاهر انه من بني جلدي، انسحب بسرعة، وكأنه فارٌّ من قَسْوَرَة.

ففي شأن تنظيم حركة المرور، وانطلاقاً من واقع سياقتي لمدة تتجاوز ثلاثة عقود ونيف من الزمن، سجلت غياب أي شكل من اشكال المراقبة الامنية المباشرة، ورغم ذلك شاهدت يوماً، تنظيم وقفة احتجاجية صامتة بالساحة المركزية للمدينة قرب الكاتدرائية، فقد وقف حوالي عشرة اشخاص كلهم ما فوق الستين، وسط دائرة رسموها بحبل على الارض لمدة ساعة تقريباً يحملون بين ايديهم علامات التشوير، دون حضور أو رقابة أو مضايقة أي جهة ترتدي زياً رسمياً.

خلال تجوالي الكثير بالمدينة، لمدة أسبوع تقريباً، لانتجاوز المرات التي رأيت

عبد الله الداودي

فيها رجال الشرطة بالزي الرسمي، سواء راجلين او راكبين سياراتهم الوظيفية في المدينة، عدد اصابع اليد. ورغم ذلك كل شيء يوحى بان الأمن مستتب، وأن المواطن لديه فائض من الاحساس بالامان، فلا تستغرب ان ترى امرأة تحمل حقيبتها تسير بمفردها مطمئنة هادئة، لا تلتفت خلفها، في شارع ضيق بعد منتصف الليل.

تكتمل اللوحة عندما تجمع بين تفاصيل الجمال الأخاذ، ونعمة الأمن المستتب، وفضائل الاخلاق الراقية، فينتابك احساس بالمرارة والغبن ويسري الاديانين في اطرافك...! فالشعور بالمرارة والغبن شعور قاسٍ، قاسٍ لأنك أنت الذي أوقعت نفسك فيه عندما لعبت لعبة المقارنة مع وجود فارق بحجم الفرق بين الحمارة والطيارة، فهو مرير لأنك لا تملك القدرة على

تدوين(ة) رحلة

تجاوز هذا الوضع، فما أتعب هذه اللحظات
التي تشعر فيها بهذا الإحساس، فقد انتهى
الزمن، زمن الرحلة.

عبد الله الداودي

زيارة معرض

Magasins d'usines

.

خلال صباح يوم السبت خرجنا
للتسوق من السوق الاسبوعي، المنظم في
ساحة عامة وسط المدينة قرب السوق
المركزي، حيث الجالية الأجنبية بالمدينة هي
الأكثر حضورا كباة أو كمتسوقين، يعيش
الزائر اجواء سوق مغربي بالفرنسية،

تدوين(ة) رحلة

تعرض به مختلف السلع الصينية الرخيصة
والمغربية من الاعشاب الى
الرغيف...والمنتجات الفلاحية البيولوجية،
والكتب القديمة...

بعد الساعة الحادية عشرة استقل
الفريق العائلي المكون من ثلاثة افراد
الحافلة رقم واحد نحو اطراف المدينة، حيث
توجت مدينة المحلات التجارية العالمية، في
الطريق استتجت بنا فتاة صربية تائهة
تبحث عن موقف حافلة متجهة نحو باريس،
حاولنا توجيهها في الاتجاه الصحيح، ذكرني
وضعها بوضعنا خلال رحلة الوصول الى
تروى، خاصة وأنها تبحث عن الحافلة
نفسها التي قذفت بنا يوم الوصول في هذه
المتاهة التي لم نكن نعرف مداخلها ولا
مخارجها، لولا تدخل احد المنقذين في اخر
لحظة.

عبد الله الداودي

يوجد بالمنطقة مركز تجاري كبير
يجمع كل الماركات العالمية تقريبا، مئات
المحلات التجارية منظمة على شكل هندسي
رائع، تجعل الزائر يطوف على كل المحلات
من اي باب من الابواب الخمس
دخل، فالتخفيضات المعلقة على الاسعار
تجلب الزبائن المحملين باكياس للماركات
المعرضة بالمحلات .

وبحكم ثقافة في النيش في الأصول
و المصادر التي أتقنها، أدركت أن تسمية
هذه الماركات تعود لأسباب عدة فمنها معتمد
على تمجيد اسم العائلة او مستوحاة من
امور لها دلالتها الخاصة فمثلاً: ماركة
boss نسبة الى اسم هوغو بوس مصمم
الذي الأسود لقوات SS التابعة للنازيين
بقيادة أدولف هتلر، وبوس هو مصمم

تدوين(ة) رحلة

الملابس الأميرية الخاصة بالقوات الألمانية
أثناء الحرب العالمية الثانية.

ماركة NOKIA أخذت الشركة الفنلندية اسم
نوكيا من المدينة التي تأسس فيها.

ماركة ADIDAS أخذت اسمها من مؤسسها
الأول: Adolf adi dassler

ماركة Nivea وتعني بياض الثلج وهو
الاسم الذي اختارته الشركة لتسويق
كريماتها البيضاء... واللائحة طويلة من
الماركات المنتشرة في هذا الفضاء التجاري
Magasins d'usines المحترف بامتياز.

عموما وجدت نفسي من المؤيدين
لتصريح احد المتخصصين في الاقتصاد
الفرنسي، مفاده ان الماركات هي أكبر كذبة
تسويقية صنعها الأذكاء لسرقة الأثرياء
فصدقها الفقراء، خاصة الطبقة الوسطى.

عبد الله الداودي

بعد الطواف، بحثنا عن مطعم يقدم الوجبات الحلال! ؟ لآحد الأترك، بعد الجلوس تبين لي أن الطرف الثاني من المطعم يقدم مشروبات روحية، والظاهر أن مسألة الحلال والحرام هنا تتطلب النية...! فقط من طرف المستهلك، عن أي حلال يتكلمون...؟ وهنا أشير إلى أن الوجبات الحلال في الدول غير الإسلامية هي كذبة تسويقية صنعها أصحاب المطاعم لإيهام المسلمين وصدقها الكاذب والمكذوب عليه، ذكرتني بأحدى التغريدات حول ملصق على كيس، كتب عليه بالخط العريض حلال، لإحدى شركات المواد الغذائية الحلال، بداخله دجاجة غير مذبوحة رقبته سليمة، علق عليها أحد الظرفاء قائلا: "هذه الدجاجة يا إما شهدت وماتت ولا ماتت شهيدة في معركة... كيف تكون حلال على الطريقة الإسلامية"

تدوين(ة) رحلة

مرة اخرى، استقل الفريق العائلي
يوم الاثنين على الساعة العاشرة صباحا،
الحافلة رقم سبعة نحو سوق آخر لمحلات
تجارية كبرى تعرض منتوجات مختلفة
ومتنوعة من الالبسة والمواد الغذائية
والتجهيزية...

فأعضاء الفريق صدقوا كذبة
الماركات العالمية، واخذوا في التسوق بنهم
لا حدود له على الرغم من ارتفاع الاسعار
بالمقارنة مع الاجور المغربية، البطاقة
البنكية التي كنت اعتمدها للأداء كانت تنزف،
وتتقاطر علي رسائل مكتب الصرف من
المغرب لتنبهني عند كل عملية، مشيرة الى
المبلغ المؤدى بالأورو ونظيره بالدرهم
المغربي مع تحديد زمان ومكان العملية،
لكنني كنت مؤمن بأن من يود السفر مع
النساء عليه أن يفتح محفظته ويقفل فمه الى
حد الابتسامة.

عبد الله الداودي

لم أكثرث كثيرا فقد كنت بدوري
أسعي لإدخال البهجة على روح بناتي سواء
التي كانت تتسوق معي، او اللواتي كن في
انتظار ما سنقدم لهن من هدايا بعد العودة
من السفر، خاصة الصغيرة، آخر العنقود،
التي كانت مطابها تدخل في خانة السهل
الممتع.

تدوين(ة) رحلة

مجتمع قارئ

القراءة في كل مكان؛ في الحدائق و
الساحات ووسائل النقل العمومي، سواء في
باريس او في مدن فرنسية اخرى، او في
وسائل النقل بين المدن، ظاهرة طبيعية
وواسعة الانتشار، يثيرك استغراق الركاب
في قراءة كتاب أو مجلة أو جريدة... غير
ابهين بمن وما حولهم، يرصعون فضاعات

عبد الله الداودي

مقطورات الميٹرو وعربات الحافلات من الداخل بكتب مختلفة الاحجام ومجلات متنوعة التخصصات، فالركاب منهم سواء شباب او كهول، يستانسون في رحلتهم بين محطة وأخرى بمادة تخفف عنهم عبء الحياة اليومية وضغوطاتها، وتمنحهم فرصة للإنفلات من ضيق المكان، ليجعلوا من رحلتهم رحلة للاستفادة وللمتعة معا.

تحس أنهم يقرأون بنهم وشوق، يمسك الواحد منهم الكتاب بحذق بين يديه وعيناه مفتوحتان، وعلى وجهه علامات الفضول والاستغراق مختلطة بعضها ببعض، بحب لا تفسير له سوى استبدال سأم ساعات التراقص اليومي بساعات من المتعة، متعة قراءة الكتاب، التي تولد سحر طي الطريق، وطول العمر.

تدوين(ة) رحلة

لابد أن أثر كل هذه الكتب، وكل هذه القراءات، تنعكس ايجابا على المجتمع كله، وتعود عليه بمنافع كثيرة، فقراءة الكتاب لاتنفع قارئه وحده، وإنما تنفع المجتمع.. فتتجلى في شكل سلوك حضاري إنساني، شعرت به خلال احتكاكي المباشر مع أغلب الناس الذين تعاملت معهم.

فالقراءة في مجتمع من هذا النوع، هي أحد أهم وأبرز الوسائل النوعية لصناعة الإنسان المتحضر، المبدع والمفكر... فمن الضروري توعية الجميع بأهمية القراءة، من خلال هذا النوع من الفضاءات العامة، فقد شعرت بالغبين وأنا وسط هذه الايقونة الثقافية، تمنيت لو كنت بدوري احمل كتابا لما ترددت في قراءته، أخذت أقلب بيت أناملي أوراق الحجوزات والوثائق التي سبق أن طبعتها كأنني أقرا شيئا فاكتشفت

عبد الله الداودي

سخاقتي! قبل ان افتح هاتفي لأسجل عليه
ارتسامتي وخواطري.

تذكرت واقع القراءة في مدينتي، فقد
تمر ايام أو أسابيع وأحيانا شهور، لا ترى من
الشباب واليافعين والشيوخ من يقرأ كتابا
سوى كتب مدرسية في أبواب المدارس، أو
القران في المساجد، ومعظم الشباب مرتبط
إلى حد الإدمان بالعالم الافتراضي، مما يؤكد
درجة الخصام القائم مع الكتاب الورقي،
وهذه الإشكالية تدق ناقوس الخطر بشأن
الوعي الثقافي والسياسي والديني
والاجتماعي... وبالتالي تحول المعارف
الثقافية إلى ثقافة سطحية لدى الغالبية
الكبرى في ظل طغيان ثقافة النسخ واللصق
وثقافة الصورة الجاهزة.

متى نقضي على الجهل الذي أصبح
يعشعش بين ظهرانينا، فالجهل الحقيقي لا

تدوين(ة) رحلة

يرتبط بمعرفة القراءة الكتابة فقط، بل يتجاوز المعرفة الى رفض اكتسابها وصلتها، والإصرار على ذلك، وصدق مالك بن نبي عندما قال في كتابه شروط النهضة أن "الجهل في حقيقته وثنية لأنه لا يغرس أفكارا بل ينصب أصناما".

متى نزرع ثقافة اقرأ بين عموم الناس، ونجعل القراءة وسيلة لنرتقي، فالشعوب تتقدم بالقراءة، ولو تمسكنا بهذه الثقافة لحدثت نقلة نوعية في مجتمعاتنا، ولتمكنا بفضلها من خلق إنسان جديد قادر على أن يرفع مشعل التحرر والبناء ويتجاوز الأصنام...

تذكرت صديقي الكتبي الطنجي وهو يندب حظه الذي قاده لبيع الكتب، كنت اجالسه لساعات طوال، لا يدخل المكتبة زبون قارئ، أغلب الزبائن من مقتني اللوازم

عبد الله الداودي

المدرسية، ويؤكد لي أن هذا النوع من المبيعات هو سر بقاء المشروع قائما.

في مدينة صغيرة من حجم تروى الفرنسية، التي يتجاوز عدد سكانها ستون ألف نسمة بقليل، لاحظت وأنا أتجول بين جنبات شوارعها كثرة المكتبات وقلة المقاهي باستثناء ساحة الكاتدرائية وهي ساحة مركز المدينة، وفي إحدى الساحات العمومية حيث يعقد سوق اسبوعي، عثرت على موقعين كبيرين لبيع الكتب القديمة، وفوجئت بالاقبال الشديد للناس على اقتناءها، حينئذ أدركت سر تخلفنا عن الركب الحضاري.

فالمجتمع الذي يقرأ كثيرا يكون قادرا على حل المشكلات وإبداع الحلول... في حين أن الذي لا يقرأ هو مجتمع لا يتطور، ولا ينظر للمستقبل بطموح وأمل،

تدوين(ة) رحلة

ولن يكون قادراً على المساهمة في استئناف
البناء الحضاري، وإذا صدقنا جدلاً ما قاله
فرانسيس بيكون أن "القراءة تصنع
الرجال..." أصبح من حقنا طرح السؤال
التالي: من أين لنا بالرجال في مجتمع لا
يقرأ؟

العودة

بدأت تعابير آلام الفراق تلوح على
الوجوه مساء اليوم السابق للسفر، كل منا
كان يعمل بطريقة ما على اخفائها وتعويضها
بمحاولة زرع البسمة على محياه، دائماً
نتقاسم الأفراح، كنا نحاول أن نسرق من
أوقاتنا لحظات جميلة، عملنا على أن تكون
هذه اللحظات السعيدة طويلة، حاولنا دائماً

تدوين(ة) رحلة

أن نبقى معاً أطول مدة ممكنة، تغيبت البنت عن العمل خلال اليوم ما قبل الأخير حتى لا تفارقنا.

خلال هذا المساء تجولنا وتسوقنا وفي الأخير نظمنا حفلة صغيرة، وشرعنا في ربط حقائب العودة وهاجس الاثقال يؤرقنا، وبالرغم من كثرة الاختزالات والالغاءات، امتلأت الحقيبتين الكبيرتين وحقيبتى اليد، كيف لا تمتلئ؟ واسبوع من التسوق، تراكمت خلاله المشتريات والهدايا وطلبات - أوامر الصغيرة دعاء واخواتها، كانت مستجابة، ومنتشرة في كل ارجاء الغرفة الضيقة-الواسعة.

خلال الليل الطويل الذي لم يغمض لي فيه جفن الا بشكل متقطع، سمعت نحيب بكاء خفي للبنت التي كانت تنام في حضن

عبد الله الداودي

أمها، تبادلا خلال هذه الليلة سيلا من الدموع المتقطع بهمسات خفيفة تدعو الى الصبر.

قبل أن يدق جرس المنبه، على الساعة الخامسة صباحا، كنت قد استيقضت وبدأت استعداداتي اليومية، ثم استعدادات السفر، على الساعة الخامسة والنصف كنا جاهزين للانطلاق، حاولت ان يكون الوداع سريعا محافظا على رباطة جأشي، حتى لا أضعف في عين من تراني قويا لا أهزم... أكره مراسيم الوداع.

انطلقنا نحو محطة القطار الذي سينطلق على الساعة السادسة وثلاثة عشر دقيقة، وصلنا قبل الوقت المحدد بقليل، وجدناه متوقفا على السكة رقم ثلاثة، مما يعني عبور نفق عبر سلاّم نزولا وصعودا، لكن هذه المرة كانت العملية أسهل مما كان،

تدوين(ة) رحلة

انطلق القطار عند الموعد المحدد بالضبط،
تمتد السكة على طول مجرى نهر السين.

وصل القطار محطة شرق
باريس Paris Est بعد ساعة ونصف ومنه
نزلنا في دهاليز الخروج نحو محطة Marie
de Montrouge لنتجه نحو محطة
Denfert Rochereau لكن هذه المرة باقل
جهد، سرعان ما وجدنا انفسنا بعد تتبع
اشارات الراجلين امام المحطة المقصودة.

بعد النزول فيها، بدأنا البحث من
جديد على مخرج نحو محطة Orly bus لتقلنا
الحافلة نحو المطار، وهناك تنفسنا الصعداء،
مع احساس بالنجاح والوصول قبل موعد
الاقلاع بوقت كاف، سرعان اخترقت الحافلة
شوارع مدينة باريس، بدت لي هذه المرة
عادية جدا رغم تعرجاتها وسط المدينة .

عبد الله الداودي

لم أنتبه الا والحافلة تتوقف بمحطة اورلي الجنوبية، نزلنا محملين باثقالنا، التي لم تكن هذه المرة مصدر معاناتنا، بل كنا نحملها ونتبادل الابتسامات... ابتسامات الانتصار على سطوة هذه الاثقال الجبارة.

كان الوقت كافيا للقيام بالإجراءات الإدارية، التي تمت ببسر، جعلتنا لا نشعر بأننا نقوم بها، بل وكأننا نتحرك في ممر؛ مرة نقتني بطاقة الكترونية بأنفسنا لتسجيل الدخول، وأخرى نتخلص من حقائبنا بعد وزنها ووضعها على الحزام المتحرك، وفي نهاية الممر يتم التأشير على الجواز بكل يسر مصحوبا بابتسامة من وجه بشوش ودعوة بسفر سعيد.

ولجنا قاعة انتظار واسعة وطويلة تتوفر على ممرات مستوية متحركة، وقاعات انتظار بالعشرات، ومحلات تجارية متنوعة،

تدوين(ة) رحلة

وأكثر من خمسة وثلاثين بابا لولوج
الطائرات، فينتابك شعور غريب، بأن العالم
صغير جدا، وأن اللون والعرق والاختلاف...
لا قيمة له وأن الجنس البشري واحد سواء
من نيويورك أو وهران أو ابيدجان أو
طنجة...

عبد الله الداودي

فن السفر

عندما جهزت حقائبي وعزمت على السفر، استحضرت في ذهني مجموعة من المبادئ التي اوردها الدكتور ويلفيرد ايبيترسون في مقالته عن فن السفر ضمن مقالاته الرائعة عن فن الحياة لاستكشاف الجمال في البلدان والسفر، من أجل أن أحظى برحلة سعيدة أعيش فيها سعادتي.

تدوين(ة) رحلة

إلا أن ظروف السفر تفرض أحيانا عدم الالتزام بهذه المبادئ خاصة الظروف التي سافرت فيها: من المفروض ان أسافر خفيفا، إن استطعت لذلك سبيلا، فأنا لأسافر لأحمل الأثقال، بل للترويح عن النفس، ومشاهدة واقع حال الناس، بهدف الاستفادة وتطوير الذات وتمتين اواصر الروابط العائلية.

من المفروض أن استمتع بوقتي، وبكل لحظة من لحظات رحلتي، وبجمال ما يستوقفني من مناظر طبيعية، فوق الارض، أو ما فوق السحاب، مستحضراً عظمة الخالق والمخلوق، أو من معالم بشرية كبناء جميل فريد اثري يعود لسالف الزمن، أو تحفة فنية نحتت بيد فنان وضعت على قارعة الطريق العام.

عبد الله الداودي

طبيعي أن أسافر مفعما بشعور خاص
يطبعه التواضع والأئفة، أقدم الاحترام للناس
وأنماط حياتهم وعاداتهم، فبتقبلي للآخر
يتقبلني هذا الأخير، فعلا أدركت حقيقة هذه
المقولة من خلال لقاءات وصادقات عقدتها
مع أناس أشهد أنهم من طينة طيبة، ربما
من طينتي، فقديما قيل: أن الطيور على
أشكالها تقع، والحقيقة أن ما جعل هذه
الرحلة عظيمة في ذهني هو اكتشافني أن
بهذا العالم يوجد أناس طيبون.

لازال تفاعلهم الايجابي معي حاضرا
في ذاكرتي حضورا جميلا، فعندما تتحلى
بروح متسامحة تشعر أن العالم كله وطنك،
وأنت جزء من هذا العالم المترامي الأطراف،
وأن البشر متشابهون مهما اختلفت لغاتهم
والوانهم ودياناتهم، فالناس ينتمون الى
المجتمع الانساني، وأنت منهم شئت أم أبيت،
باحساسك هذا تكون قد تخليت على تحيزك

تدوين(ة) رحلة

وانغلاقك السابق، بل وتصحح مفاهيم ظلت حاضرة في ذهنك، حاولت مرات عديدة تمريرها من خلال دروسك لتلاميذك، الان ادركت كم كنت متحيزا وعنيفا، تصدر أحكاما عن غير علم وجهالة، تحكمها حمولة إيديولوجية تمتح تفاصيلها من وحشية القمع والاستغلال الاستعماريين ضد أجدادنا خلال النصف الأول من القرن السابق، فالسفر والانفتاح على ثقافة الناس يقهر التحيز والتعصب وضيق الأفق، فقد اكتشفت حجم خطئك وسوء تقدير أحكامك السابقة عن أناس قدموا لك خدمات بدون مقابل لا يبتغون منها لا جزاء ولا شكورا.

المحتويات

| | |
|----|------------------------------------|
| 2 | إهداء |
| 4 | تقديم |
| 9 | الوصول الى باريس |
| 14 | جولة ليلية بباريس |
| 19 | نحو محطة Paris Bercy |
| 31 | الوصول الى تروى |
| 40 | مدينة تروى Ville de Troyes |
| 45 | المركز الاسلامي بتروى |
| 52 | قصة اعتناق "إيف" لدين الإسلام |
| 62 | جولة في مدينة تروى |
| 70 | زيارة معرض Magasins d'usine |
| 77 | مجتمع قارئ |
| 84 | العودة |
| 90 | فن السفر |

تدوين(ة) رحلة

هذا الكتاب

هو عبارة عن مجموع ما كتبتة كتدوينات لتفاصيل ما رأيته وأحسسته وسمعتة على مذكرة هاتفي، خلال رحلة قمت بها نحو الديار الفرنسية، منتصف أبريل 2018، حاولت ان أعكس وأوثق بصدق كل ما صادفته في طريقي، ووصفت الأماكن التي زرتها وعادات الناس ونقلت كل المواقف التي تعرضت لها بما تحمله من مشاعر فرح اللقاء، وآلام الفراق.

حاولت أن يكون عملي هذا أكثر ضمانا لبوح راسخ في الذاكرة، يتجاوز مجال التدوين والاعتراف إلى وعي محمل بحمولة عاطفية إنسانية راقية، من خلال المراحل والمشاعر والقيم التي شهدتها الرحلة.

عبد الله بن ادريس الداودي